[١١]

الثمرات المرة للحلم العنصرى المجنون

وأخيرًا.. فإن الدرس الذى نود استخلاصه، فى ختام هذه الدراسة، والذى نريد أن يكون حاضرًا فى أذهان الجميع -ونحن نتطلع إلى مستقبل وحدتنا الوطنية.. والقومية.. والحضارية. إنما يتمثل فى الكلمات الحكيمة التى قالها الأنبا موسى -أسقف الشباب بالكنيسة الأرثوذكسية- والتى قال فيها:

«نحن -كأقباط- ليس بيننا وبين إخواننا المسلمين فرق عرقى -«إثنى»-، لأننا مصريون.. كلنا أقباط.. يجرى فينا دم واحد من أيام الفراعنة..

ونحن أقلية عددية فقط، وليس هناك شرخ بيننا وبين إخواننا المسلمين.. فنحن نسيج واحد، وسعداء بذلك، وهذه حماية استراتيجية لنا كأقباط..

نحن مصريون عرقًا.. ونحيا العربية لأنها هويتنا الثقافية.. والثقافة الإسلامية هى السائدة الآن.. وأى قبطى يحمل فى الكثير من حديثه تعبيرات إسلامية يتحدث بها ببساطة ودون شعور بأنها دخيلة، بل هى جزء من مكوناته.. ومصر دائمًا دولة مسلمة ومتدينة، ولكن دون تطرف..

ونحن نرفض المسيحية السياسية؛ لأن المسيح قال: «مملكتى ليست بالعالم».. ولو حدثت المسيحية السياسية تصبح انتكاسة على المسيحية..

وتقسيم مصر فكرة مستحيلة، وغير مسيحية، ولو فكرنا فى ذلك معناه أننا نجهز أنفسنا للإبادة.. إنها فكرة غبية.. فكرة صهيونية من أجل تفتيت مصر..».

نعم.. من هذه الكلمات الحكيمة -للأنبا موسى- نستخلص الدرس الذى نرجو أن يعيه الجميع.. وخاصة الشريحة التى سقطت فى مستنقع الطائفية والانعزالية والعنصرية..

- فمصر كلها نسيج عرقى واحد.. وهويتها الحضارية عربية وإسلامية..
- والمسيحية السياسية -التى أثمرت النزعة الطائفية العنصرية- التى تريد تغيير الهوية العربية الإسلامية لمصر -هى- كما يقول الأنبا موسى- «فكرة صهيونية غبية تجهز المسيحيين للإبادة»!..

***

ولقد صادقت وقائع وحقائق المسيرة الطائفية، التى سادت بمصر فى العقود الأخيرة، على نفاذ بصيرة الأنبا موسى.. فها هى الثمرات المرة والعواقب الوخيمة تحيق بالأقلية المسيحية جراء التعصب والطائفية والانعزال والاستقواء بالأعداء الخارجيين..

- فالمسيحية السياسية أثمرت الطائفية الانعزالية التى سحبت جمهور المسيحيين من المجتمع ومؤسساته إلى «دولة الكنيسة»..
- وانخراط الكنيسة فى الاهتمامات السياسية والنزعات الطائفية والأنشطة الدنيوية قد صرفها عن رسالتها الأصلية -الدينية- فحدث جفاف

روحى بين أتباعها.. وحتى الرهبان والأديرة غدت مـؤسسات دنيوية، ومراكز إنـتاج زراعى- إقطاعى ورأسمالى- وأصـبح الرهبان-بدلا من النسك والانقطاع عن العالم «مـيليشيات» يخوضـون النزاعات المسلحة للاستيلاء على الأرض لحسـاب الأديرة -التى أصبحت «دوائر إقطاعية» للكنيسة التى غدت الإقطاعى الوحيد فى مصر!..

• ولقد حدث ذلك الانقـلاب فى مناخ إسلامى يشهد صحـوة روحية وانتعاشًا للقيم الإيمانية .. الأمر الذى أفضى إلى ظاهرة التحولات من المسيحية إلى الإسلام على نحو غير مسبوق فى التاريخ الحديث..

• وبسبب الاسـتقـواء بالخارج المعادى.. والعـزلة الطائفيـة.. وتحول الأقباط إلى ما يشبه «الجاليـة» التى تستمد نفوذها من الخارج.. وزيادة ضغط أقـباط المهجـر.. زاد التوترالطائفى.. وزاد العنـف.. وتلبست المنازعات الاجتماعية لبوسًـا طائفياً دينياً.. الأمر الذى أضعف الانتماء الوطنى والحضـارى لدى قطاعات واسعـة من شباب الأقـباط وزاد من معدلات الهجرة بينهم، على نحو كاد أن يفرغ أوساطهم من الكفاءات.

• وبعـد أن كان حلم المشـروع الطائفى هو الاسـتيـلاء على مصـر، بدعـوى «تحريرها» من العـروبة والإسـلام.. إذا بأصحـاب هذا الحلم المجنون يستيـقظون على واقع بائس تتحدث فيه دراسات باحـثيهم عن **«انقراض الأقباط»!!**؛

لقد كتب الدكتـور كمال فريد إسحاق- أستاذ اللغة القـبطية بمعهد الدراسات القبطية- والذي يدعو إلى جعل اللغـة القبطية اللغة القومية

لمصر! . . كتب عن انقراض الأقباط خلال القرن الواحد والعشرين . . فقال:

«إن نسبة المسيحيين المصريين تقل تدريجياً، وذلك لأسباب ثلاثة:

أولها: الهجرة إلى الخارج.

وثانيها: اعتناق عدد كبير منهم الدين الإسلامى.

وثالثها: أن معدل الإنجاب عند المسيحيين ضعيف، على عكس المسلمين.

وإن هؤلاء المسيحيين المصريين -لذلك- سينقرضون فى زمن أقصاه مائة عام»[١].

وكتب الصحفى الأرثوذكسى سامح فوزى يقول:

«إن تعداد المسيحيين فى المنطقة العربية يصل إلى ما بين ثلاثة عشر وخمسة عشر مليونًا[٢].. ويتوقع بعض المراقبين أن يهبط هذا الرقم إلى ستة ملايين نسمة فقط بحلول عام ٢٠٢٠م نتيجة موجات الهجرة المتوالية للمسيحيين، وهكذا تصبح المنطقة العربية على شفا حالة جديدة يغيب فيها الآخر الدينى، ويصبح الإسلام هو الدين الوحيد، والمسلمون هم وحدهم أهل هذه البلدان»[٣].

---

(١) صحيفة «المصرى اليوم» فى ١٢- ٥- ٢٠٠٧م.

(٢) تؤكد الإحصاءات الأجنبية المحايدة أن تعداد المسيحيين فى العالم العربى لا يتجاوز الثمانية ملايين- انظر: فيليب فارج، رفيق البستانى [أطلس معلومات العالم العربى]. طبعة القاهرة سنة ١٩٩٤م.

(٣) صحيفة «وطنى» فى ٢٧-٥-٢٠٠٧م.

ونشرت صحيفة «الحيـاة» دراسة فى ١١- ٦- -٢٠٠٨م ذكرت فيها الحقائق والأرقام التى تقول:

«إن مواليد المسيحيين المصريين -سنوياً- يبلغون ٥٠,٠٠٠ نسمة..

- وإن نسبة المتحولين من المسيحية إلى الإسلام -بمصر سنوياً- ما بين ٤٠,٠٠٠ و٥٠,٠٠٠.
- وإن ارتفاع معدلات الهجرة بين الشباب المسيحى - مع قلة الإنجاب فى أسرهم- يجعل انقراضهم وتفريغ المجتمع المصرى منهم قدراً محتومًا![1].

***

هكذا بدأت مرحلة «الاعترافات».. بعد مراحل المزايدات على ارتفاع أعدادهم فى هذه البلاد.. والزعم أنهم يبلغون -بمصر وحدها- عشرين مليونًا!..

- تلك هى الثمرات المرة للحلم الطائفى العنصرى المجنون.. وهذه هى نتائج الطمع فى استلاب مصر من هويتها العربية والإسلامية..

لقد انقلب السحر على الساحر.. وعلى العقلاء أن يقارنوا بين حقائق هذا الواقع الذى أثمرته الطائفية والمسيحية السياسية وبين الحلم المجنون -لكبيرهم الذى علمهم الطائفية -والذى تحدث عنه فى محاضرة الإسكندرية - بتاريخ ١٨-٧-١٩٧٢م- تلك التى حلم فيها بجعل مصر «فلسطين السليبة» «والأندلس المفقودة»!!

(١) أحمد دياب -دراسة عنوانها: «هل يخلو الشرق الأوسط من مسيحييه؟» -صحيفة «الحياة» -لندن- فى ١١-٦-٢٠٠٨.

● وإذا كنا- فى مشروعنا الفكرى- قد اتخذنا الموقف المتوازن، ودعونا إلى «الحل الحضارى»،- الجامع لكل الديانات.. والقوميات.. والمذاهب.. والأقطار-.. الحل الذى يحقق وحدة الأمة وتكامل دار الإسلام..فإننا قد نبهنا، دائمًا وأبدًا، على خطأ وخطر «التعميم والإطلاق» فى الحكم على المكونات الدينية والقومية والمذهبية فى الشرق الإسلامى.. انطلاقًا من المنهاج القرآنى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ [آل عمران: ١١٣].. فاتحين الأبواب أمام تحالف واسع يضم كل الذين يعملون على وحدة الأمة- بقومياتها المتعددة- والانتماء للحضارة الإسلامية- بدياناتها المختلفة-.. ويطمحون إلى تحقيق تكامل دار الإسلام- التى تتمايز فيها الأوطان والأقطار والأقاليم..

كما دعونا -وندعو- إلى «الوعى بالتاريخ».. وليس مجرد «قراءة التاريخ»..

وإلى الرؤية التى تضع وقائع الفتنة الطائفية فى مكانها من السياق العام لمخطط التفتيت لبلادنا.. وليس النظر التجزيئى لوقائع هذه الفتنة ومقولات رموزها..

● إن مصر هى كنانة الله فى أرضه، وهى القلب والعقل وموطن الريادة والقيادة لمشروع النهضة الإسلامية.. وبدونها لا مستقبل للنهوض العربى، الذى بدونه لا مستقبل للنهوض الشرقى والإسلامى.. فوحدتها الوطنية فريضة تهم كل عالم الإسلام..

ولذلك، كان التركيز الإمبريالى الصهيونى الصليبى على تفتيت مصر شديدًا فلقد أعلنوا- فى «استراتيجية إسرائيل»:

«إذا تفتتت مصر تفتت الباقون»!!

● ولقد أصبحت مصر -إزاء هذا المخطط المعلن- بمثابة السفينة التى تتلاطم من حولها الأمواج والأعاصير.. ولا بد من الضرب بيد من حديد على من يهدد سلامة سفينة الوطن فى مثل هذه الظروف، وأمام هذه التحديات..

تلك «ضرورة حياتية».. و«منهاج نبوى» علمنا إياه رسولنا ﷺ عندما قال:

«مثل القائم على حدود الله -تعالى- والمدهن فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فى البحر، فأصاب بعضهم أسفلها، وأصاب بعضهم أعلاها، فكان الذين فى أسفلها يصعدون فيستقون الماء فيصبون على الذين فى أعلاها، فقال الذين فى أعلاها: لا ندعكم تصعدون فتؤذوننا، فقال الذين فى أسفلها: فإننا ننقبها من أسفلها فنستقى.

قال ﷺ: **فإن أخذوا على أيديهم فمنعوهم نجوا جميعًا، وإن تركوهم غرقوا جميعًا**»- رواه البخارى والترمذى والإمام أحمد-..

● وإذا كان تهديد سلامة سفينة الوطن -مصر: كنانة الله فى أرضه- هو المنكر الأكبر -بمعايير الواجبات والفرائض الحضارية- فإن تغيير هذا المنكر- منكر النزعة الطائفية العنصرية الانعزالية- تتفاوت فيه المواقف والواجبات..

- فعلى الجماهير تغـيير هذا المنكر بالقلب -أى الرفض السلمى، الذى يحاصر أصحـاب هذه النزعة الطائفية بالكراهية الشعبـية التى تدفعهم إلى الإنابة. .أو مغادرة السفينة التى يهددونها! . .

- وعلى النخـبة -من المسلمـين والمسيـحيـيين- أن يغيـروا هذا «المنكر الطائفى» باللسان. . وإعلان الإدانة لمخططاته وتطبـيقاته فى البلاد. . دونما «جبن» أو «نفاق»! . .

- أما الدولة والسلطة، فإن عليها واجب التغيير لهذا المنكر «باليد» -أى القـوة- والضرب بيـد من حديد على الشـرذمة الطائفـية التى تـهدد سلامـة هذا الوطن، الذى علمنا رسولنا ﷺ أن أهله هم خـير أجناد الأرض، لأنهم فى رباط إلى يوم الدين. .

***

لقد قبلنا- من فرط السمـاحة- بل والتهاون- أن تكون هذه الأقلية- كما قـال شيخنا محـمد الغزالى [١٣٣٥-١٤١٦هـ/ ١٩١٧- ١٩٩٦م] عليه رحمة الله-:

«**أسعد أقلية فى العالم**»..

تمتلك -وهى $\frac{١}{٨}$ السكان فى أوائل القرن العـشرين - ٣٠٪ من ثروة البلاد! . .

وتملك -اليوم- نحو ٦٠ ٪ من ثروة القطاع الخاص فى البلاد!

قبلنا ذلك.. من فرط السماحة.. والتهاون والتفريط!.

● لكننا لا يمكن أن نقبل أن تكون هذه الأقلية:

«أكثر الأقليات صفاقة فى العالم»!

وذلك عندما تسعى إلى اختطاف كل الوطن من أهله.. ولغته. وثقافته.. وحضارته.. ومن الرسالة المقدسة التى حملتها مصر -وتحملها- إلى العالمين.. رسالة العروبة والإسلام..

●●●

تلك هى رؤيتنا.. وهذه هى دعوتنا.. التى نصادق عليها.. ونخاصم فيها.. ولا نألوا جهدا فى دعمها، والمرابطة على ثغورها.. كما نستطيب أية تضحيات فى سبيل نصرتها..

وتلك هى رسالة هذه الصفحات.. بها بلّغنا الدعوة.. وأقمنا الحجة.. وأزلنا الشبهة..

والله شهيد على هذا البلاغ؟

●●●

المصادر والمراجع

- آدم متز: [الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى] ترجمة: دكتور محمد عبد الهادى أبو ريدة -طبعة بيروت سنة ١٩٦٧م.
- ابن جلجل: [طبقات الأطباء] تحقيق: فؤاد سيد -طبعة القاهرة سنة ١٩٥٥م.
- أبو سيف يوسف: [الأقباط والقومية العربية] -طبعة بيروت- سنة ١٩٨٧م.
- دكتور أحمد حسين الصاوى: [المعلم يعقوب بين الحقيقة والأسطورة]- طبعة القاهرة سنة ١٩٨٦م.
- أحمد دياب: [الحياة] -صحيفة- لندن.
- دكتور أحمد عثمان: [الهلال] -مجلة- القاهرة.
- أرنولد -سير. توماس: [الدعوة إلى الإسلام] ترجمة: دكتور حسن إبراهيم حسن، دكتور عبد المجيد عابدين، إسماعيل النحراوى -طبعة القاهرة سنة ١٩٧٠م.
- آندراوس عزيز -القمص-: [الحقائق الخفية فى الكنيسة القبطية]- طبعة القاهرة.

- دكتور أنور عبد الملك: [أخبار الأدب] -مجلة- القاهرة.
- بتلر: [فتح العرب لمصر] -ترجمة: محمد فريد أبو حديد- طبعة القاهرة سنة ١٩٩٩م.
- دكتور جاك تاجر: [أقباط ومسلمون منذ الفتح العربى إلى عام ١٩٢٢م]- طبعة مدينة جرسى- أمريكا سنة ١٩٨٤م.
- الجبرتى: [عجائب الآثار فى التراجم والأخبار] -طبعة القاهرة سنة ١٩٦٥م.
- ـــــــ: [مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس] -طبعة القاهرة سنة ١٩٦٩م.
- جمال بدوى: [الفتنة الطائفية] -طبعة القاهرة سنة ١٩٩٢م.
- دكتور جورج قرم: [تعدد الأديان ونظم الحكم] -طبعة بيروت سنة ١٩٧٩م.
- الدار العربية -ترجمة-: [ندوة الموقف الإسرائيلى من الجماعات الإثنية والطائفية فى العالم العربى] -طبعة القاهرة- الدار العربية للدراسات والنشر- سنة ١٩٩٢م.
- رؤوف نظمى -محجوب عمر: [منبر الحوار] -مجلة- بيروت.

- رشيد رضا: [المنار] -مجلة- القاهرة.
- دكتور رضوان السيد: [الحياة] -صحيفة- لندن.
- سامح فوزى: [وطنى] -صحيفة- القاهرة.
- دكتور سعد الدين إبراهيم: [الملل والنحل والأعراق] -طبعة القاهرة سنة ١٩٩٠م.
- سلامة موسى: [اليوم والغد] -طبعة القاهرة سنة ١٩٢٨م.
- دكتور سليم نجيب: [الأقباط عبر التاريخ] -طبعة القاهرة سنة ٢٠٠١م.
- شنودة الثالث -البابا-: [القرآن والمسيحية] طبعة مطبعة المجد -محرم بك- الإسكندرية.
- ـــــ: [الهلال] -مجلة- القاهرة.
- ـــــ: [الأسبوع] -صحيفة- القاهرة.
- دكتور صبرى أبو الخير سليم: [تاريخ مصر فى العصر البيزنطى] - طبعة القاهرة سنة ٢٠٠١م.
- صلاح حافظ: [الأهرام] -صحيفة- القاهرة.
- عادل جندى: [وطنى] -صحيفة- القاهرة.

- دكتور عبد المنعم أبو بكر: [أخناتون] -طبعة القاهرة سنة ١٩٦١م.
- عبد الوهاب النجار: [قصص الأنبياء] طبعة دار إحياء التراث العربى -بيروت.
- عمر بن محمد بن يوسف الكندى: [فضائل مصر] تحقيق: إبراهيم العدوى، على محمد عمر، طبعة القاهرة سنة ١٩٧١م.
- دكتور غالى شكرى: [الوفد] -صحيفة- القاهرة.
- غريغوريوس -الأنبا-: [وطنى] -صحيفة- القاهرة.
- فيليب فارج، يوسف كرباج: [المسيحيون واليهود فى التاريخ الإسلامى العربى والتركى] ترجمة: بشير السباعى -طبعة القاهرة سنة ١٩٩٤م.
- فيليب فارج، رفيق البستانى: [أطلس معلومات العالم العربى - طبعة القاهرة سنة ١٩٩٤م].
- القفطى: [أخبار الحكماء] -طبعة القاهرة.
- دكتور كامل عبد الفتاح بحيرى [التطور الفكرى لدى جماعات العنف الدينية فى مصر] طبعة سنة ٢٠٠٨م.
- دكتور لويس عوض: [تاريخ الفكر المصرى الحديث] -طبعة دار الهلال- القاهرة سنة ١٩٦٩م.

- ـــــــــ: [السياسة الدولية] -مجلة- القاهرة.
- ـــــــــ: [الأهرام] -صحيفة- القاهرة.
- ليونارد كوتريل -إشراف-: [الموسوعة الأثرية العالمية] -ترجمة: دكتور محمد عبد القادر محمد، دكتور زكى إسكندر - مراجعة: دكتور عبد المنعم أبو بكر- طبعة القاهرة سنة ١٩٧٧م.
- متى المسكين -الأب-: [مقالات بين الدين والسياسة] -طبعة مصر سنة ١٩٨٠م.
- محمد جلال كشك: [ألا فى الفتنة سقطوا] -طبعة القاهرة سنة ١٩٨٢م.
- دكتور محمد جمعة عبد الله: [رد افتراء المبشرين على آيات القرآن الكريم] -طبعة القاهرة سنة ١٩٨٥م.
- محمد حسنين هيكل: [المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل: الأسطورة والإمبراطورية والدولة اليهودية] -الكتاب الأول سنة ١٩٩٦م.
- ـــــــــ: [خريف الغضب] -طبعة القاهرة سنة ١٩٨٨م.
- محمد السماك: [الأقليات بين العروبة والإسلام] طبعة بيروت سنة ١٩٩٠م.

- دكتور محمد عمارة: [الإسلام والتعددية] طبعة دار السلام - القاهرة سنة ٢٠١١م.
- ـــــــــ: [الدراما التاريخية وتحديات الواقع المعاصر] -طبعة دار السلام - القاهرة سنة ٢٠١١م.
- ـــــــــ: [من أعلام الإحياء الإسلامى] -طبعة مكتبة الشروق الدولية- القاهرة سنة ٢٠٠٦م.
- ـــــــــ: [فى فقه الصراع على القدس وفلسطين] -طبعة دار الشروق- القاهرة سنة ٢٠٠٧م.
- ـــــــــ: [فى المسألة القبطية حقائق وأوهام] -طبعة مكتبة وهبة- القاهرة سنة ٢٠١١م.
- ـــــــــ: [الإسلام والسياسية: الرد على شبهات العلمانيين] - طبعة دار السلام - القاهرة سنة ٢٠١١م.
- محمد الغزالى -الشيخ-: [قذائف الحق] -طبعة المكتبة العصرية- صيدا- بيروت.
- دكتور محمد مورو: [يا أقباط مصر انتبهوا] -طبعة القاهرة سنة ١٩٩٨م.

• المركز القومى للبحوث الاجتماعية: [استطلاع الرأى العام فى مصر حول تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية على جرائم الحدود] -طبعة القاهرة سنة ١٩٨٥م.

• المقريزى: [الإعراب عمن نزل بأرض مصر من الأعراب] تحقيق: دكتور عبد المجيد عابدين -طبعة القاهرة.

• مكرم عبيد -باشا-: [الهلال] -مجلة- القاهرة.

• ـــــــــ: [الوفد] -صحيفة- القاهرة.

• ممدوح الشيخ: [الأسبوع] -صحيفة- القاهرة.

• دكتور وليم سليمان قلادة: [الكنيسة المصرية تواجه الاستعمار والصهيونية] -طبعة دار الكاتب العربى- القاهرة.

• يعقوب نخلة روفيلة: [تاريخ الأمة القبطية]: طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٠م.

• يوحنا النقيوسى -الأسقف: [تاريخ مصر ليوحنا النقيوسى] ترجمة ودراسة وتعليق: دكتور عمر صابر عبد الجليل -طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٠م.

(موسوعات)

- فهرس الكتاب المقدس -طبعة بيروت سنة ٢٠٠٥م.

(دوريات)

- [أخبار الأدب]- القاهرة-.
- [الأسبوع] -القاهرة-.
- [الأهرام] -القاهرة-.
- [البديل] -القاهرة-.
- [الحياة] -لندن-.
- [الدستور] -القاهرة-.
- [السياسة الدولية] -القاهرة-.
- [صوت الأمة] -القاهرة-.
- [شبكة المعلومات العالمية].
- [المصرى اليوم] -القاهرة-.
- [المنار] -القاهرة-.

- [منبر الحوار] -بيروت-.
- [نيوزويك] -أمريكا-.
- [الهلال] -القاهرة-.
- [وطنى] -القاهرة-.
- [الوفد] -القاهرة-.

●●●